

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: 20]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مزاولة الإنسان
لأغراضه
الحياتية
بنفسه تحقيق
له الاستغناء
وتنفي عنه
الأتكالية

لما تقدم الطعن على الرسول ﷺ بأكل الطعام والمشي في الأسواق؛ أخبر سبحانه بما يدفع هذه الشبهة وينفي معارضتها لأصول النبوات، ويُفَرِّد أنها من العادات المُطَرِّدة التي لا تقدح في الرسول ولا رسالته⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فِتْنَةً﴾: (فتن) أصلٌ يدلُّ على ابتلاءٍ واختبار، ومنه الفتن: الإحراق⁽²⁾؛ لأنَّ به تُخْتَبَرُ معادنُ الأشياء، وأصلُ الفتن: إدخالُ الذَّهَبِ النَّارَ لِتُظْهَرَ جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النَّارَ، كما في قوله: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذَّارِيَات: 14]؛ أي: عذابكم⁽³⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

أَكَلَ الطَّعَامَ
وَالْمَشْيَ فِي
الْأَسْوَاقِ وَمَا فِي
حَكْمِهِمَا غَيْرُ
قَادِحٍ فِي أَحَدٍ
الْبَتَّةُ

تأتي هذه الآية ردًّا على المشركين في قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا
الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 7]، فيقول - سبحانه - مخاطبًا نبيه ﷺ: وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - أحدًا من رسلنا إلا كانوا بشرًا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، فكانوا في استغناء بأنفسهم في قضاء حاجات دُنياهم، فلا يفتقرون إلى حياة الرفاهية والتَّرف وكثرة الخدم، وقد جعلنا بعضكم لبعض - أيها النَّاس -

(1) أبو حنَّان، البحر المحيط: 94 / 8.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فتن).

(3) الرَّاغِب، المفردات: (فتن).

لبعض ابتلاءً واختباراً في الحق والباطل، والغنى والفقر، والصحة والمرض، هل تصبرون فتقوموا بما أوجب الله عليكم وتشكروا له فيثيبكم مولاكم؟ أم لا تصبرون فتستحقوا العقوبة؟ وكان ربك - أيها الرسول - بصيراً بمن يجزع أو يصبر، وبمن يكفر أو يشكر⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الواو في صدر الآية:

جملة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ استئناف مسوق للرد على كفار قريش في استبعادهم أن يكون من البشر رسول، وقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 7]، وأخبر الله تعالى محمداً ﷺ وأُمَّته أنه لم يرسل قبل في سالف الدهر نبياً إلا بهذه الصفة⁽²⁾.

بلغة الجنس في ﴿أَرْسَلْنَا﴾ و﴿الْمُرْسَلِينَ﴾:

في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جناس اشتقاق بين فعل واسم: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾، اتفقا في الجذر الثلاثي: (رسل)، وفيه أسلوب التصدير البديع، فكلمة ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ في آخر التركيب مردودة على كلمة ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ردَّ العجز على الصدر، ولا يخفى ما في اجتماع الجنس مع التصدير من عذوبة الجرس الصوتي في التركيب، واستحضار حركة الإرسال مُدْ نشوئها إلى بلوغ غايتها.

دلالة تقديم الظرف على الجار والمجرور:

لم يُقَلَّ في السياق الكريم: (وما أرسلنا من المرسلين قبلك)، وإنما قَدِّمَ الظرف ﴿قَبْلَكَ﴾ على المفعول ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بتقدير نزع الخافض؛ للاعتناء والاختصاص؛ لإناطة الرسول ﷺ بالخطاب والقصد⁽³⁾.

تأخير الرد على
القضية المتقدمة
في السياق
اعتباراً لأولويتها
في ذلك

إيقاع التسلية
من خادلي
الوقوف على
النظائر المتماثلة
في الأحوال

قصد الرسول
بالخطاب

(1) نخبة من العلماء، التفسير للبشر، ص: 361.

(2) ابن عطية، الحزر الوجيز: 4/ 205.

(3) صافي، الجدول: 9/ 318.

الفرق بين ﴿قَبْلَكَ﴾ وبين (من قبلك):

معالجة أمور
الحياة كالمشي
في الأسواق
حال كل الرُّسل
وصنيعهم

لم يُقَلَّ في السِّياقِ الكريم: (وما أرسلنا من قبلك)؛ بل أسقط الجارّ، فقال: ﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾؛ لاستغراق زمانِ القَبْلِيَّةِ جميعه، ليتناولَ عمومَ الرُّسلِ؛ أي: هذه حالُ المرسلين منذ حصلَ إرسالُ للرُّسلِ قبلك، فَحَذَفُ (من) تشديدٌ على عدمِ التَّخَلُّفِ والانحرامِ في الحالِ المذكورةِ في أيِّ قطعةٍ من الزَّمنِ، قبلَ النَّبِيِّ ﷺ⁽¹⁾.

معنى ﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

كمالُ الرِّسالةِ
إذا انضمَّ إلى
كمالِ البشريَّةِ
يعني العِصْمَةُ

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ صلةٌ للتَّأكيدِ والاستغراقِ؛ أي: من كلِّ المرسلين، ولذا صَحَّ إجراءُ ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ مفعولاً به، مجروراً لفظاً منصوباً محلاً، لاعتبارِ التَّركيبِ من غيرِ (من)، كأنه قيل: أرسلنا قبلك المرسلين، ويصحُّ أن تكون ﴿مِنْ﴾ بيانيَّةٌ على أنَّ ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ صفةٌ للمفعولِ المُقدَّر؛ أي: أرسلنا رجالاً، أو أحداً، أو عدداً من المرسلين⁽²⁾.

دلالةُ أسلوبِ النَّفيِ والاستثناءِ في الآية:

للمشي في
الأسواقِ يكونُ
غالباً لكسبِ
التَّجَارَاتِ أو
ابتِباعِ الطَّعامِ

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ استثناءٌ من أعمِّ الأحوال؛ أي: وما أرسلنا من المرسلين في حالٍ من الأحوالِ إِلَّا وإنَّهم يأكلون ويمشون، والنَّفيُّ مع الاستثناءِ أفادَ القَصْرَ، قَصَرَ موصوفٍ على صفةٍ، وهو قصرٌ إضافيٌّ، وقَصْرُ قَلْبٍ؛ فهو يَرُدُّ اعتقادَ المشركين في قولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، فأثبتَ عكسَ اعتقادِهِم وقلبه عليهم، بتقريرِ أنَّ أكلَ الطَّعامِ والمشي في الأسواقِ من أحوالِ الرُّسلِ المعهودةِ والاعتياديَّةِ، واستفِيدَ القَصْرُ من طريقِ النَّفيِ والاستثناءِ في التَّركيبِ؛ لإنكارِ المُخاطَبين أن يتَّصفَ الرُّسولُ بصفةٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 365/13.

(2) السَّمين، الدَّرِّ للصون: 468/8، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 684/6، وصافي، الجدول: 318/9.

البشر، فكانوا طاعنين، لا مُجَرَّد جاهلين غافلين، أو نزلهم منزلة المنكر؛ إذ كانت أحوال الرسل الأولين لا تخفى عليهم، فاحتيج في الرد عليهم إلى أوفى أساليب القصر⁽¹⁾.

توجيه مضارعية فعلي الأكل والمشى، وإعراب جملتيهما:

صَوَّغَ فِعْلِي الأكل والمشى على هيئة المضارع يدلُّ على ديمومة فعلهم هذا، نشاطًا حيائيًا يمارسونه، وحالًا بشريًا يدأبون عليه مدة حياتهم، ومن هنا فالأقربُ إعرابُ جملة ﴿إِنَّمَا لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمَشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾⁽²⁾ حالية: أي: ما أرسلناهم إلا والحال التي تحيط بهم أنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق؛ فتلک حالهم، ويجوز أن يكون في الكلام محذوف (هذه صفته)؛ فذكرت الصفة مغبية عن الموصوف المقدر، ويكون سياق القول، وما أرسلنا إلا رسلًا إنهم ليأكلون، والحالية أولى؛ لأن ما لا يحتاج لتقدير أولى⁽³⁾.

بلغة الكناية في أكل الطعام والمشى في الأسواق:

قوله: ﴿يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ كناية عن لازمه من حصول الهضم والحدث والتغوط، وقوله: ﴿وَيَمَشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كناية عن أنهم يخدمون أنفسهم ويسعون في قضاء حوائجهم كسائر الناس⁽³⁾.

بلغة حشد المؤكّدات:

في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمَشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ تقريرٌ لأصل النبوات، وما يجوز معه ولا يُنافيه بأبلغ تحقيقٍ وأكبر أسلوبٍ، فحشد لذلك المؤكّدات عنايةً بمضمون هذا الأصل، فساق التركيب بأسلوب القصر، وبطريق النفي والاستثناء، وافتتح الكلام بـ(إن) المؤكّدة؛ تحقيقًا لجملة

الأكل والمشى
حال المرسلين
جميعًا

حاجة الإنسان
جلب الطعام
ودفعه، ومشيه
للسعي في
قضاء حوائجه

الكافر يبني
قذحه ومذحه
على المعادلة
الدنيوية
المحدودة
والقاصرة

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البياضوي: 55 / 14.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5263 / 10.

(3) ابن عطية، للحزر الوجيز: 205 / 4.

الحال في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ﴾؛ أي: إلا وإنهم ليأكلون، أو: إلا وهم يأكلون، ولم تقترن جملة الحال بالواو؛ لإغناء أداة الاستثناء عن الواو في الربط، لا سيما وقد تأكد الربط بحرف التوكيد، فلا يُزاد حرف آخر، فتتوالى أربعة حروف وهي: ﴿الآ﴾، و(إن)، واللام المزلحقة في الخبر، ويزاد الواو⁽¹⁾.

علة الإطناب في وصف حال المرسلين:

الإطناب المطابق
للمقام توفية
للمعنى والمقصد

أطنب البيان القرآني في وصف حال المرسلين في قوله: ﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾؛ لكونه ردًا على ما استبعدوه واستعجبوا منه في قولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، فأثبت في الجواب ما انبنى عليه الاستعجاب، وهذه نكتة تخصيص أكل الطعام والمشي في الأسواق بالذكر؛ ليوافق المقام المقال.

دلالة الواو في ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

الجعل قضاء
وحكم

جملة ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله، كأنه قيل: أرسلنا الرسل بشرًا مثلكم، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، يقضون حوائجهم بأنفسهم، لا يُخدمون كالمملوك؛ لنختبركم بهم هل تصدقونهم في شؤون الإيمان والآخرة أم تُعيرونهم بناءً على مقاييس الدنيا وسرف العقول؟ ففي العطف به تسليّة لرسول الله ﷺ على ما قالوه بعد نقضه عليهم، وفيه دليل على القضاء والقدر⁽²⁾.

فائدة ضمير الخطاب وعوده في ﴿بَعْضَكُمْ﴾:

لا يعصي
الإنسان ربه
إلا من طريق
الناس

ضمير الخطاب في ﴿بَعْضَكُمْ﴾ لعموم مخاطبين من الناس؛ أي: بعض الناس جعلوا فتنة لبعض الناس، وكلا البعضين مُبهم

(1) أبو حيان، البحر الحيط: 8/ 94، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 343، وصافي، الجدول: 9/ 318.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 121.

يُبيِّنُهُ المَقَامُ، وَحَالُ الفِتْنَةِ فِي كَلَا البَعْضَيْنِ مُخْتَلَفٌ، فَبَعْضُهَا فِتْنَةٌ فِي العَقِيدَةِ، وَبَعْضُهَا فِتْنَةٌ فِي الْأَمْنِ، وَبَعْضُهَا فِتْنَةٌ فِي الْأَبْدَانِ، وَجَعَلْنَا هَذَا نَبِيًّا وَخَصَّصْنَاهُ بِالرَّسَالَةِ، وَهَذَا مَلِكًا وَخَصَّصْنَاهُ بِالدُّنْيَا، وَهَذَا فَقِيرًا وَحَرَمْنَاهُ الدُّنْيَا؛ لِيَكُونَ كُلُّ صِنْفٍ مُمْتَحَنًا بِضَدِّهِ، وَيَدْخُلُ فِي الْخُطَابِ بِقَوْلِهِ: ﴿بَعْضُكُمْ﴾ صِنْفُ الرُّسُلِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ؛ أَيُّ: جَعَلْنَا الرُّسُلَ امْتِحَانًا لِلنَّاسِ، هَلْ يَصْبِرُونَ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ أَمْ لَا؟ فَلَأَجَلَ ذَلِكَ لَمْ أُعْطِ رَسُولِي الدُّنْيَا، وَجَعَلْتُهُ مِمَّنْ يَخْتَارُ الْعِبُودِيَّةَ وَالْكَفَافَ بِطَلَبِ الْمَعَاشِ فِي الْأَسْوَاقِ؛ لِأَبْتَلِيَكُمْ فِي الطَّاعَةِ لَهُ خَالِصَةً، فَإِنِّي لَوْ أَعْطَيْتُهُ الدُّنْيَا، وَجَعَلْتُهُ مِمَّنْ يَخْتَارُ الْمُلْكَ، لَسَارَعَ الْأَكْثَرُ إِلَى اتِّبَاعِهِ طَمَعًا فِي الدُّنْيَا⁽¹⁾.

سِرِّيَّاتُ لَفْظِ «فِتْنَةٌ»، وَدَلَالَةُ الْجَازِ فِيهِ:

إِثَارُ لَفْظِ الْفِتْنَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْامْتِحَانِ وَالْابْتِلَاءِ، وَهِيَ اخْتِبَارُ النَّاسِ بِالْمُرْسَلِينَ وَالرَّسَالَاتِ، وَاخْتِبَارَهُمْ بِتَبَايُنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ وَالْأَرْزَاقِ، فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَكَانَ هَذَا كاخْتِبَارِ الْمَعْدِنِ بِالنَّارِ، وَهُوَ اخْتِبَارٌ لَا يَكْذِبُ، فَحَقُّ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الْفِتْنَةِ دُونَ غَيْرِهِ، وَالْإِخْبَارُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ فِتْنَةٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَجَازٌ مُرْسَلٌ مِنْ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ مُسَبِّبِهِ، فَالْفِتْنَةُ مُسَبِّبَةٌ عَنْهُمْ، وَهُمْ سَبَبٌ فِيهَا⁽²⁾.

بِلَاغَةُ الاسْتِفْهَامِ فِي الْآيَةِ «أَتَصْبِرُونَ»:

جُمْلَةُ: «أَتَصْبِرُونَ» تَعْلِيلِيَّةٌ لِلْجَعْلِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾؛ أَيُّ: جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً لِنَعْلَمَ أَتُصْبِرُونَ⁽³⁾، وَفِي الاسْتِفْهَامِ مَعَ الْعِلِّيَّةِ تَهْدِيدٌ بِلُغٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الاسْتِفْهَامُ اسْتِثْنَاءً لِلتَّحْذِيرِ، أَوْ لِلْأَمْرِ وَالْحَثِّ؛ أَيُّ: اصْبِرُوا وَإِيَّاكُمْ

ما من خلاص
وتصفية إلا بعد
فتنة وتخليّة

تنزيل الاستفهام
منزلة التكليف
والتحريض

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 365، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 344.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 344.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 121.

والفتنة، ويكون الاستفهام مجازاً عن ذلك، كما في قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (الأنعام: 91)؛ أي: انتهوا ولا تتورطوا⁽¹⁾، ولما كان المراد بالفتنة أقصى درجات الامتحان والابتلاء حُقَّ له أَنْ يسأل عنه بالصبر دون سواه، فقال: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾، ولم يقل: (أتفْلحون)، أو (أتعلمون)، أو (أتستقيمون)؛ لأنَّ الصبر مُرٌّ غيرُ سائغ، كما أنَّ الفتنَ مُؤْلِمٌ تَذَوُّبٌ له العزائمُ، كما يذوب المعدن بالنار.

دلالة لفظ ﴿وَكَانَ﴾:

تحقق الكمال
في الأزَل ينفي
الطَّروء المسبوق
بانقطاع في
الماضي

التَّعبيرُ بفعلِ الكونِ في قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ لتحقيقِ ثبوتِ الصِّفةِ للموصوفِ ﷻ، وأنها من شؤونهِ المُستمرَّةِ الدَّائمةِ ﷻ، فـ(كان) تُفيدُ ثبوتَ خبرِها لاسمها، وسيقتُ النسبةُ بينَ الله وصفاته بهذا التركيب المُحقَّق؛ ليلبغوا فيها عينَ اليقين، كأنَّهم يشهدونها، والكونُ الماضي يدلُّ كذلك على التَّحَقُّقِ الأزليِّ القديم للصِّفة، ولا يدلُّ على الانقطاع الطَّارئِ في الحاضر أو المستقبل، وناسبَ المَجِيءُ به ماضياً؛ للدَّلالة على أنَّ ثبوتَ كمالِ اللهِ وانتفاء النَّقائص عنه متحقَّقٌ ثابتٌ أزلاً، وتحقُّقُ الكمالِ في الأزَل ينفي الطَّروءَ المسبوقَ بانقطاعِ في الماضي، ومن كان كذلك كان استمرارُ كماله وعدمُ انقطاعه في الحاضر والمستقبل أولى، وهذا هو نُكْتَةُ مجيءِ الكونِ ماضياً⁽²⁾.

رقابةُ الله
للنَّاسِ دائمةٌ،
يعلم ما يُخفون
وما يُعلنون

ودلالةُ (كان) على الدَّوامِ تُفيدُ أنَّ النَّاسَ تحتَ رقابةِ اللهِ دائماً يعلم بحال الصَّابرين منهم علم السَّميع البصير، ويكافئُ كلاً بحسَب حاله التي علمها اللهُ تعالى، إنَّ خيراً فخيرٌ، وإنَّ شراً فشرٌّ، فليعملوا عملاً ما يُرى ويُسمَع؛ فالله بكلِّ شيءٍ محيطٌ⁽³⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 366.

(2) الرَّمْخَشَرَقِي، الكُشَاف: 1/ 400، وعُضَيْمَة، دراسات لأسلوب القرآن: 8/ 336.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5264.

إِثَارَ لَفْظِ (الرَّبِّ) عَلَى اسْمِ الْجَدَالَةِ:

أوثر التعبير بالرُّبُوبِيَّةِ على اسم الجلالة في قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ للتنبية على أن تكاليف الامتحان مقرونة بعبايا الإحسان، فامتحانه للناس في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ مقرون باللطاف عفوه ومنحه، فهو يمتحنهم ليرحمهم ويحسن إليهم، وللتنبية على أنهم إذا استجابوا لقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ فقد صبروا بأمداد الرُّبُوبِيَّةِ ومعوناتها، وسيُجَزَوْنَ بآثار الرُّبُوبِيَّةِ وثوابها، فهم في جميع أحوالهم مُفْتَقِرُونَ لِرُبُوبِيَّةِ سُبْحَانِهِ، وللتنبية على أن صفات الجلال والكمال - كما في قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ جارية على قانون الرُّبُوبِيَّةِ الواسع، فكل صفة من صفات الإحاطة بالخلق كالبصر والعلم وغيرها صفات لا تنفك عن معنى الرُّبُوبِيَّةِ في إيصال كل مرغوب، والوقاية من كل مرهوب.

دَلَالَةُ الْإِضَافَةِ لَضَمِيرِ الرَّسُولِ فِي ﴿رَبُّكَ﴾:

في إضافة اسم الربِّ إلى ضمير خطاب الرسول ﷺ في قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ تسليّة للرَّسُولِ ﷺ، وبشارة له أنه مشمول بكنف الرُّبُوبِيَّةِ، محفوظ بآثارها، فهو مصون محفوظ عند امتحان الناس به، ومجزّي بالأجر الجزيل على صبره الجميل عليهم، فبين قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، وقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾، هو ﷺ مُعَافًى في محاضن الرُّبُوبِيَّةِ، ولا يخفى ما في الإضافة إلى ضميره وخطابه من استقلاله بالتشريف وخصوصية الرتبة، وجاءت هذه الإضافة متناسقة في الاطراد مع السياق السابق في قوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾⁽¹⁾.

إِثَارَ اسْمِ ﴿بَصِيرًا﴾ عَلَى غَيْرِهِ:

أوثر التعبير بـ ﴿بَصِيرًا﴾ على غيره في قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾

إِنَّمَا يُؤْمِنُ
الْعَبْدُ وَيَعْمَلُ
بِأَلْطَافِ الرُّبُوبِيَّةِ
وَمَعُونَاتِهَا

خَطَابُ الرَّسُولِ
فِي مَقَامِ الْعُمُومِ
إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ
التَّكَالِيفَ مِنْ
طَرِيقِهِ تَوْتَى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 207/6، 210.

مَنْ أَيْقَنَ بِاللَّهِ
بَصِيرًا لَمْ
يَسْتَخَفْ مِنْهُ
بِمَعْصِيَةٍ

للتَّنبِيهِ عَلَى أَنَّ امْتِحَانَ النَّاسِ بِالنَّاسِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ مَرصُودٌ لَا يَفُوتُ وَلَا يُفْلَتُ شَيْءٌ فِيهِ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالامْتِحَانِ وَسُؤَالِ الصَّبْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ﴾ هُوَ إِظْهَارُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ؛ لِتَكُونَ مَشْهُودَةً مَبْصَرَةً؛ فَتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى عَامِلِيهَا فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، كَمَا هِيَ ثَابِتَةٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ، وَلَدَفَعَ تَوْهَمَ أَنَّ فِتْنَةَ النَّاسِ وَسُؤَالَهُمُ الصَّبَرَ صَادِرٌ عَنْ نَقْصٍ فِي شُهُودِهِمْ وَالْعِلْمَ بِهِمْ، وَفِيهِ تَرْهِيْبٌ لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ مَهْمَا تَمَكَّنُوا وَقَدَّرُوا فَلَنْ يَسْتَخَفُّوا مِنْ رَبِّهِمْ، فَلْيَحْذَرُوا اطِّلَاعَهُ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ بِهِمْ مُحِيطٌ⁽¹⁾.

(1) الببضاوِي، أنوار التَّنْزِيل: 4 / 121، والبِقَاعِي، نظم الدَّرَر: 13 / 367.



عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-79-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»